ختام الآيات بالرحمة
تأصيل ودلالات

إعداد:
د. خالد حسن أبو الجود

المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمدًا ﷺ رسول الله.

أما بعد...

الرحمة، كلمة ربانية، تجذب القلوب والعقول، اهتم بها الإسلام، وقررها الكتاب الكريم في عدة مواضع بلغت نحو ٢٦٨ موضعًا، وقد وردت بعدة صيغ، فورد بصيغة الاسم في أكثر المواضع، وورد بصيغة الفعل في ١٤ موضعًا.

ولفظ الرحمة يدل على الرقة والعطف والرأفة، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى، والرحم علاقة القربى، وورد لفظ الرحمة في القرآن على عدة معان:

ولفظ (الرحمة) في القرآن ورد على عدة معان، نستعرضها تاليًا[1]:

- الرحمة التي هي (صفة) الله ﷻ، تثبت له على ما يليق بجلاله وعظمته، من ذلك قوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]،

(١) بصائر ذوي التمييز ٣/٥٥.

وقوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]. و(الرحمة) بوصفه (صفة) لله ﷻ هي الأكثر ورودًا في القرآن الكريم.

- الرحمة بمعنى (الجنة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨]، أي: يطمعون أن يرحمهم الله، فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم.

- الرحمة بمعنى (النبوة)، من ذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٥]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يختص برحمته: أي: بنبوته، خصَّ بها محمدًا ﷺ. وهذا على المشهور في تفسير (الرحمة) في هذه الآية. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود:٢٨، أي: نبوة ورسالة.

- الرحمة بمعنى (القرآن)، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨]، فـ (الرحمة) في هذه الآية القرآن، وهذا مروي عن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة.

- الرحمة بمعنى (المطر)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧]، قال الطبري: و(الرحمة) التي ذكرها جل ثناؤه في هذا الموضع: المطر(١)، ومن هذا القبيل قوله ﷻ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٥٠].

- الرحمة بمعنى (النعمة والرزق)، من ذلك قوله ﷻ: ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر:٣٨]، قال الشوكاني: الرحمة: النعمة والرزق(٢). ومن هذا القبيل قوله عز من قائل: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ [الإسراء:١٠٠]، قال البيضاوي: أي: خزائن رزقه(٣)، وسائر نعمه. ومنه قوله ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر:٢].

(١) تفسير الطبري ٤٦٧/١٧.
(٢) فتح القدير ١٠٧/١.
(٣) تفسير البيضاوي ١٦٣/٢.

- الرحمة بمعنى (النصر)، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةً﴾ [الأحزاب:١٧]، قال القرطبي: أي: خيرًا ونصرًا وعافية.

- الرحمة بمعنى (المغفرة والعفو)، من ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، أي: أنه ﷻ يقبل من عباده الإنابة والتوبة. ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]، أي: لا تيأسوا من مغفرته وعفوه.

- الرحمة بمعنى (العطف والمودة)، من ذلك قوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، قال البغوي: متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد(١). ونحو هذا قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةً وَرَحۡمَةً﴾ [الحديد:٢٧]، أي: مودة، فكان يواد بعضهم بعضًا.

- الرحمة بمعنى (العصمة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٥٣]، قال ابن كثير: أي: إلا من عصمه الله تعالى(٢).

- الرحمة بمعنى (الثواب)، من ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] قال سعيد بن جبير: الرحمة ها هنا الثواب.

- الرحمة بمعنى (إجابة الدعاء)، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢]، قال الشوكاني: يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد(٣).

(١) تفسير البغوي ٦/٨٨٦.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٩٤.
(٣) تفسير فتح القدير ٣/٣٧٩.

على ذلك فالرحمة من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل معناها في كل نفع يعود على الإنسان في دنياه وآخرته، والقرآن يؤكد على أهمية هذه الصفة الجميلة، وهذا الاسم الرائع بذكر هذه الكلمة في أواخر الآيات تذييلًا لها، ليؤكد معنى، ويبين قيمة معينة، أو ليعلل قضية، ومن هنا أتت أهمية هذه الكلمة التي جاءت لتحاول تجلية هذه القضية، ألا وهي: لماذا التذييل بالرحمة في كثير من الآيات القرآنية؟، وما هي أنواع الرحمة التي جاءت في أواخر آيات الكتاب المبين.

ولتجلية هذه القضية جاء هذا البحث في مدخل ومبحثين:

مدخل: في معنى الآية وتذييل الآيات، وفوائد مستنبطة من التذييل.

المبحث الأول: رحمة الله الواردة في ختام الآيات، وقد جاء في مطلبين:

المطلب الأول: في ورودها اسمًا

والمطلب الثاني: في ورودها وصفًا.

والمبحث الثاني: معاني الرحمة في ختام الآيات، وجاء في مطلبين:

المطلب الأول: ورودها عامة

المطلب الثاني: في ورودها خاصة.

وأتبعنا ذلك بخاتمة، تبين أهم نتائج البحث.

وأخيرًا أسأل الله الكريم الرحيم أن يوفقنا لإخراج هذه الورقة كما يحب ويرضى، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

مدخل

القرآن الكريم كتاب الله ﷻ، يمتاز عن كل كلام سبقه أو جاء بعده، وذلك بمجيئه على صورة آيات مفصلة، لها طابعها الخاص في الاتصال والانفصال، وفي الطول والقصر، وفيما يظهر من الائتلاف والاختلاف، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت:٣].

والآية القرآنية هي الوحدة التي بني منها القرآن، والفواصل هي النهايات التي تذيل بها الآيات القرآنية(١).

والفاصلة القرآنية تتعدد ألوانها بعدد أي القرآن، فكل فاصلة مقطع من البيان، ونغم من الألحان، وآية من آيات الإعجاز في اتصالها بالآية وانفصالها عنها، وفي توازنها أو استقلالها بذاتها(٢).

العلاقة بين الفاصلة وما قبلها من الكلام: أمر لا معدل عنه، وإلا اختل نظام الكلام، وهذه العلاقة تنحصر في أربعة أشياء:

التمكين: بأن يمهد للفاصلة قبلها تمهيدًا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مطمئنة في موضعها، متعلقة معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًّا، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم.

التصدير: وهو أن يتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول صدر الآية أو

(١) الفاصلة في القرآن: ٢٨٥.
(٢) إعجاز القرآن، عبدالكريم الخطيب ٢/٢١٥.

في أثنائها أو آخرها، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

التوشيح: وهو أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منه قبل قراءتها.

الإيغال: وهو أن ترد الآية بمعنى تام وتأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى كقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فإن الكلام تم عند ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة:٥٠]، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب قرينة الكلام، فلما جاء بها أفاد معنىً زائدًا[١].

والعلاقة بين الفاصلة والتذييل:

والمقصود بالتذييل: أن يأتي بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول، تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه، ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل فهمه[٢].

وقسم العلماء التذييل على قسمين:

- قسم يخرج مخرج المثل السائر، بأن يكون مستقلًّا بإفادة المراد، فيكون جائز الاستعمال على الانفراد، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، ويصلح مثلًا للعبرة والتأسي.
- وقسم لا يخرج مخرج المثل، لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله[٣].

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ٩٦/١، الفاصلة في القرآن: ٢٩١.
(٢) البرهان في علوم القرآن ٦٨/١، الفوائد المشوق: ١٢١.
(٣) الفوائد المشوق: ١٢١.

والملاحظ أن العلماء برغم أنهم يعرفون الفاصلة بأنها كلمة آخر الجملة، ولكنهم عند الاستشهاد للفاصلة يلحظون الجملة بكاملها، وينظرون إلى المعنى كله، فالفاصلة تستمد تحديد معناها مما قبلها ومما بعدها.

وهذه فوائد من ذكر الأسماء الحسنى والصفات العلى في آخر الآيات، نقدمها لتبين لنا مقصد صفة الرحمة واسم الله الرحيم فيما لا نفسره من آيات، نقدمها في هذا البحث لضيق المقام[1]:

أولًا: قد يذكر ﷻ الحكم ولا ينص على نفس الحكم، بل يذكر من أسمائه الحسنى ما إذا علم ذلك الاسم علمت آثاره.

ثانيًا: قد يأتي بلفظة (كان) في أواخر الآيات: لتحقيق المضمون لا لتدل على المضي.

ثالثًا: يظهر ﷻ أفعاله ويبسط آثاره ثم يستخرج من أفعاله وآثاره تلك الأسماء الإلهية.

رابعًا: يقرن الترغيب بالترهيب، والإنذار بالتبشير، مثل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧].

خامسًا: تأتي الفواصل مشتملة على الأسماء الحسنى للحمل على المقررات السابقة، والحث على التمسك بها أمرًا ونهيًا.

سادسًا: قد تأتي الفاصلة للتأكيد والتقرير لمضمون ما سبقها من المقاصد والأغراض بطريقة التذكير بالأسماء والصفات.

سابعًا: يأتي بالأسماء في آخر الآيات، لتدل على ظهور تلك الأسماء في مضمون ما تقدمها من الكلام.

(١) انظر في تقرير هذه القواعد: الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها من أول سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون، محمد مصطفى أيدن، رسالة ماجستير: ٥٩.

ثامنًا: في اقتران اسمين كريمين معنىً خفيًا، وهو حصول وصف جديد لله ﷻ من اقترانهما.

تاسعًا: قد تأتي الأسماء للتنبيه على أن الأسماء المتعلقة بشئون الحياة وتنظيمها ليست أمورًا دنيوية، بل هي أحكام إلهية تدخل في مفهوم العبادة.

المبحث الأول
رحمة الله الواردة في ختام الآيات

وردت الرحمة في كتاب الله في ختام الآيات بصورة الاسم أو الصفة، وقد جاءت مفردة أو مقترنة بغيرها، وسنفصل هذا المبحث في مطلبين فيما يلي

المطلب الأول
ورودها اسما

وردت الرحمة اسمًا في صورتين: إما مقترنة مع غيرها، وإما مفردة:

أولًا: ما جاء مقترنًا مع اسم آخر:

وقد جاء مقترنا مع البر، ومع التواب، ومع الرحمن، ومع العزيز، وسنبين ذلك كما يلي:

- **مقترنة مع البر الرحيم:**

وقد جاءت مرة واحدة في سورة الطور الآية: ٢٨، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

والبَرُّ: هو المحسن المطلق، الذي منه كل إحسان، وبره ﷻ بعباده إحسانه

إليهم في الدنيا والآخرة، فهو الذي شمل الكائنات بره، وهباته، وكرمه، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه طرفة عين[1].

والرحيم: صاحب الرحمة العامة والخاصة:

فالعامة: كما هي مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، وهي رحمة يشترك فيها البر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض، والمكلفون وغيرهم.

والخاصة: رحمته للمتقين الطائعين، حيث قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٣]، وهذه الرحمة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان والعلم والعمل.

فلما ذكر ﷻ في الآية السابقة فضله وإحسانه ومنه عليهم، وهو وقايتهم وحفظهم من النار، فذكر هنا علة ذلك وهو الدعاء،.. ذكر العلة لذلك والدليل عليه بأسلوب الجملة الإسمية المؤكدة بـ (أن) التحقيقية الحاملة لأسلوب القصر بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ بأنه هو البر والمحسن على الناس وعلينا، وذلك لأنه رحيم، فيرحم عباده من جميع الوجوه، ولما كان البر سببًا للرحمة قدمه على ﴿الرَّحِيمُ﴾، وأخَّر ﴿الرَّحِيمُ﴾ لتقتضي زيادة الإحسان، إذ لا يماثله أحد في بره وإحسانه ورحمته، وذكر بهذا الأسلوب ليدل على المراد بأدق وجه، فإن البر هو الدال على الإحسان، وأن الرحمة مزيد الإنعام بعد البر والإحسان.

ووقعت جملة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ موقع التعليل، وضمير الفصل لإفادة الحصر، وهو لقصر صفتي البر والرحيم على الله ﷻ، وهو قصر

(١) المقصد الأسنى: ١٣٨.

ادعائي للمبالغة، لعدم الاعتداد ببر غيره، ورحمة غيره بالنسبة إلى بر الله ورحمته[1].

- **مقترنة مع التواب:**

كما في البقرة: ٣١، ٣٧، ٥٤، ١٢٨، ١٦٠، والتوبة: ١٠٤، ١١٨.

وكلها جاء في إطار الأمر من الله بالتوبة كما في قوله ﷻ، أو طلب التوبة من العبد، أو بيان أهمية التوبة وسنأخذ مثالين لضيق المقام:

فالمثال الأول: من سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣١]:

فالله ﷻ لما ذكر قبل ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وذكر نتيجة ذلك لأنه ﷻ ألقى إليه الكلمات، فتاب تقتضي انتهاءها بالتواب، والتواب يقتضي الرحمة فلذا قرن بينهما، فَذِكر الرحيم الدال على الرحمة علة لما قبله بأنه ﷻ تاب على آدم ورجع عليه بالرحمة، والتذييل بالتواب الرحيم: تعليل للجملة السابقة وهي ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ والتواب صيغة مبالغة وهو الكثير القبول لتوبة التائبين، وعقبه بـ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لأن ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ جار مجرى العلة لـ ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾، إذ قبوله التوبة من عباده ضرب من الرحمة بهم[2].

والمثال الثاني: في سورة التوبة الآية: ١٠٤ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ذكر ﷻ بأسلوب الجملة الاسمية المؤكدة الحاملة للحصر علة ودليلًا على ما ذكره من أنه يقبل التوبة، ويقبل الصدقات من عباده، فإنه ﷻ يقبل صدقات عباده، لأنه تواب فلا يعجل بالعذاب، وأنه

(١) التحرير والتنوير ٢٧/٥٨.
(٢) التحرير والتنوير ١/٤٣٩.

رحيم يرحم عباده، ويزيد أجورهم، وفيه ترغيب للتوبة والعمل الصالح، وتشريف للمؤمنين، فهو ﷻ بذاته يأخذ عنهم ويقبل توبتهم، فلما كان ﷻ الموصوف بالإكثار من قبول التوبة الرحيم بعباده كان التعقيب بـ ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في غاية المناسبة(١).

- **مقترنة مع الرحمن:**

وذلك في خمس آيات، موضوعها بيان توحيده ﷻ:

* ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣].
* ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].
* ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠].
* ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:٢-٣].
* ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

ولضيق المقام أذكر مثالين لبيان الحكمة في جمعهما معا في هذه الآيات:

المثال الأول في آية البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

فالحكمة فيها أنه ﷻ لما ذكر الألوهية لنفسه حصرها في ذاته، ونفاها عن غيره، فذكر في النهاية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ مع تقديم الرحمن عليها علة لما قبلها، فهو لا إله غيره ولا معبود، ولا ضار ولا نافع سواه، وذلك لأنه رحمن منعم على العباد بأسرهم مؤمنهم وكافرهم، فهو رحيم بهم يعطي لهم الأجر الجزيل بأعمالهم، فذكر الرحمن لأجل عموم رحمته، وثنى بالرحيم ليبين خصوص رحمته.

(١) التحرير والتنوير ١١/٥٤.

ومن ناحية الوصفية فالرحمن والرحيم وصفان للضمير، أي المنعم بجلائل النعم ودقائقها، وهما وصفان للمدح، وفيهما تلميح لدليل الألوهية والانفراد بها، لأنه منعم، وغيره ليس بمنعم، وإن لم يكن في الصفتين دلالة على الحصر، لكنّ فيهما تعريض به هنا، لأن الكلام مسوق لإبطال ألوهية غيره، فكأنه يذكر الأوصاف المقتضية للألوهية، وقصرها عليه ﷻ، وذكر لفظ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إغاظة للمشركين، فإنهم أَبَوا وصف الله بالرحمن، وفيهما مزيد رد عليهم، لأنهم قالوا ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؟[1].

والمثال الثاني في آية فصلت: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:٢-٣].

أنه ﷻ لما ذكر عظمة نزول القرآن، وذكر أنه تنزيل أي منزل من السماء، وليس مصنوعًا أو مختلقًا، فبَيَّن أنه نزل من رحمن يرحم به عامة عباده، أنزله للناس عامة رحمة بهم لهدايتهم، ثم أردف بالرحيم وهو الرحمة الخاصة لعبادة.

ونَكَّر تنزيل للتعظيم، وآثر الوصفين الرحمن والرحيم على غيرهما من الصفات للإيحاء إلى أن هذا التنزيل رحمة من الله لعباده، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن الرحمة صفة ذاتية لله ﷻ، وأن متعلقهما منتشر في المخلوقات[2].

- **مقترنة مع العزيز**

في ثلاثة عشر موضعًا بثلاثة أساليب:

الأول: بأسلوب التوكيد، وفيه ثمان آيات: في سورة الشعراء ٩ مواضع: ٩١، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١ وكلها بلفظ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(١) التحرير والتنوير ٢/٧٦.
(٢) التحرير والتنوير ٢٤/٢٣٠.

والحكمة من ذلك أنه لما ذكر إهلاك الأقوام المكذبة، ذكر الوقائع بأسلوب الجملة الإسمية المؤكدة بـ (أن) وإضافة الرب إلى ضمير الخطاب، لتشريف النبي ﷺ، وقدم العزيز للمخالفين، فلهذا لا يمنعه مانع عن إنفاذ أمره وإهلاك الأمم المكذبة، لأنه عزيز، والعزيز لا يستطيع أحد منع تصرفاته، وإهلاك الأقوام لا بد له من قوة، فاقتضى كلمة تدل على القوة والقهر والسلطان، فلذا ذكر ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ قبل ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾، وذكر في النهاية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ليبين أنه مع ذلك رحيم، ولو لم يكن كذلك لأهلك الجميع بذنوبهم. فالمكذبون خاصة لكثرة ذنوبهم لا يستحقون الإمهال، ولكنه أمهلهم برحمته، وأخر عنهم العذاب.

وسبب اقتران الاسمين ظاهر، لأن المقام مقام العزة والغلبة والرحمة أيضًا، فهو لما كان الإهلاك للمكذبين، كان الإمهال والنجاة للمؤمنين.

الثاني: أسلوب التوكيد والحصر في آية واحدة، قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان:٤٣].

والحكمة هنا بينة: لأنه لما لن يستطيع أحد أن يدفع عن أحد شيئًا، ذكر الاستثناء عن عدم النصرة بأن ذكر من سينجو برحمة الله من العذاب، وذكر ذلك بأسلوب الجملة الإسمية، المؤكدة الدالة على الدوام، بأنه إنما ينجي من يرحمه الله، لأنه في حمايته، والله عزيز غالب، فلا يغلبه شيء، ولا يمنعه أحد من نفاذ أمره، وهو رحيم ومن رحمته نجاة المرحوم من العذاب.

وجملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ استئناف بياني جواب مجمل عن سؤال السائل عن تعيين من رحم الله، أي أن الله عزيز لا يكرهه

أحد على العدول عن مراده، فهو يرحم من يرحمه بمحض مشيئته، وهو رحيم واسع الرحمة لمن يشاء من عباده، على وفق ما جرى به علمه وحكمته ووعده[1].

الثالث: ما هو مجرد من أسلوب الحصر والتوكيد، وفيه أربع آيات: في سور الشعراء: ٢١٧ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، وفي الروم: ٥، والسجدة: ٦، ويس: ٥.

وسنذكر الحكمة من سورة الشعراء، كمثال على هذا العنصر:

وذلك أنه لما ذكر البراءة من العاصين، والدعوة تقتضي الإعانة والنصرة، فذكر تسلية للنبي ﷺ الأمر بالتوكل وذكر قبل ﴿الرَّحِيمِ﴾ قوله ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ فذكر الوصفين لبيان من يتوكل، عليه بقوله ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، فتوكلك وأمرك إليه، لأنه عزيز لا يغلب، ولا يمنعه مانع من إعانتك، وذلك لأنه رحيم مع كثرة عصيان العصاة، لا يعجل عذاب العصاة، ويعطي الأجر العظيم، وعلق التوكل بالاسمين ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، فهو بعزته قادر على أن يغلب عدوه، وبرحمته يعصمه منهم رغم قوتهم[2].

ثانيًا: ما جاء مفردًا:

كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ [الرحمن:١-٢].

وذلك أنه ﷻ ختم السورة السابقة سورة القمر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر:٥٤-٥٥]، بين أن هذا المليك المقتدر ليس بجبار، وإنما هو الرحمن ﷻ، وفيها من حسن البدء وروحة ختام الآية حيث لم يذكر في الآية إلا هذه الكلمة، ليبين أنه الرحمن أولًا وآخرًا، ورحمته واسعة تسع الجميع.

(١) التحرير والتنوير ٢٥/٣١٣.
(٢) التحرير والتنوير ١٩/٢٠٤.

المطلب الثاني
ورودها وصفًا

وقد وردت أيضًا الرحمة بوصفها كصفة منفردة ومقترنة مع غيرها كما يأتي:

أولًا: ما ذكر فيه الرحيم منفردًا:

ذكرت في ثلاثة مواضع: النساء: ٢٩، الإسراء: ٦٦، الأحزاب: ٤٣.

ولنأخذ الموضع الأول ليظهر المقصود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩].

وحكمته: أنه لما ذكر تخفيف الأحكام، ذكر هنا بعض المنهيات التي تكون سببًا لثقل العبء عليهم، فنهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، فذكر العلة عن النهي بأن الأكل بالباطل يسبب القتل، وذكر الرحيم خاصة، لأنه يخص المؤمنين في الآخرة، وذلك لأن رحمته الدنيوية عامة للكل، والرحيم يشمل الرحمة الدنيوية والأخروية، فامتثال الأوامر واجتناب النواهي سبب للرحمة الدنيوية من النعم وغيرها، والأخروية من الرضى ودخول الجنة[1].

ثانيًا: ما ذكر مقترنًا مع غيره:

ذكرت صفة الرحمة مقترنة مع رب، ورؤوف وغفور، وها أنا أمثل لكل ليتضح المقام:

- **مقترنة مع رب:**

جاء بهذه الصيغة في القرآن مرة واحدة في قوله ﷻ في سورة يس: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾.

(١) التحرير والتنوير ٢٤/٥.

الرب هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بأنواع النعم بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، وجعل الرحيم فاصلة، لأنه ﷻ لما ذكر لأهل الجنة السلام والسلامة من العذاب والتعب وغيرها من التكاليف، فذكر بأن هذا السلام ليس من شخص عام، بل من ذي العظمة والجلال الرب الذي رباهم في الدنيا بالتربية الجسمانية والروحية الخاصة، صار سببًا لدخولهم الجنة، ويكرمهم بلقائه، فجاء بلفظ ﴿رَحِيمٍ﴾ مع تقديم الرب ليتم المقصود، ويفصل ما أجمل.

وتنوين رب للتعظيم، فعدل عن إضافة ﴿رَبِّ﴾ إلى ضمير (هم)، واختار معه وصف الرب بالرحيم، لشدة مناسبة الإكرام والرضى عنهم بذكر أنهم عبدوه في الدنيا، فاعترفوا بربوبيته، فلذا تكرم عليهم ورضي عنهم[1].

- **مقترنة مع رؤوف:**

وذلك في سبع آيات في: البقرة: ١٤٣، التوبة: ١١٧، النحل: ٤٧، الحج: ٦٥، النور: ٣٠، الحديد: ٩، الحشر: ٧.

ونذكر هنا الحكمة من ذكر الرؤوف الرحيم في ختام الآيات في آيتين ليتضح المقام بالمثال:

المثال الأول: قوله ﷻ في سورة النحل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:٤٧].

ربنا ﷻ لما ذكر قدرته على العباد بأنه يستطيع أخذهم وتعذيبهم مع كونهم خائفين فله القدرة التامة، ولكن يؤخرهم ويمهلهم، وذكر قبل ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ والتخويف يقتضي الالتجاء، والالتجاء يحصل بالرحمة والمرحمة، فذكر علة ذلك وعدم الأخذ بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهو ﷻ لا يأخذهم

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٤٤.

بالعقاب مع أنه قادر على أخذهم وإهلاكهم، وذلك لأنه ربكم ومع الربوبية هو ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ولهذا قد أمهلهم وتركهم في النعم مع أن أعمالهم تقتضي العذاب والأخذ.

وهو هنا فرع على الجملة الفعلية ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تفريع العلة على العمل، وحرف (إن) يفيد التعليل وفاء التفريع هنا مؤكدة، والتعليل لجميع المذكورات في الآية، كأنهم لما أمهلهم صاروا كالآمنين منه، بحيث يستفهم عنهم أهم آمنون من ذلك أم لا؟[1].

والمثال الثاني: من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥].

والحكمة هنا: أنه لما ذكر نعمة الله من تسخير ما في الأرض للإنسان، وجريان الفلك في البحر للتجارة، وإمساك السماء أن تقع على الأرض بإذنه وقتما يريد، دل هذا على منتهى الرأفة والرحمة، فاقتضى المقام ذكر الوصفين.

وذكر ذلك بأسلوب الجملة الإسمية المؤكدة، المذكور فيها لفظ الجلالة (الله) ظاهرًا للتصريح بالقوة، ثم ذكر عامة الناس، وذكر التأكيد بأن والله الداخلة على (الرؤوف) فيها تمام رأفته ورحمته، فمن رأفته أنه منع السماء أن تقع على الأرض، ثم ذكر رحمته ليتبين زيادة إنعامه مع عصيانهم، ولم يقدر عليهم في الرزق مع قدرته على ذلك، فالرحيم وصف من الرحمة، وهي صفة تقتضي النفع للمحتاجين، والجمع بين الرأفة التي هي صيغة مبالغة تقتضي صرف القصر، مع الرحمة يفيد ما تختص به كل صفة، ويؤكد ما يجتمعان عليه[2].

(١) التحرير والتنوير ١٨٧/١٤.
(٢) التحرير والتنوير ٣١٥/١٧.

- **مقترنة مع غفور:**

جاءت في (٤٢) موضعًا، منها:

❖ ١٢ موضعًا مسبوقة بـ (إن) كما في البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٩، المائدة: ٣٤، ٣٩، الأنفال: ٦٩، التوبة: ٥، ٩٩، ١٠٢، الحجرات: ١٤، الممتحنة: ١٢، المزمل: ٢٠:

بعضها في إطار التوبة من الله، كما في:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة:٣٣-٣٤].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة:٣٨-٣٩].

وبعضها في إطار التخويف:

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٩٨].

وبعضها في إطار المنة، كما في قوله:

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٩].

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٩٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

❖ ٨ مواضع مسبوقة بـ (فإن الله) البقرة: ١٩٢، ٢٢٦، آل عمران: ٨٩، المائدة: ٣، النحل: ١١٥، النور: ٥، المجادلة: ١٢، التغابن: ١٤.

منها: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ [البقرة:١٩١-١٩٢].

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ [البقرة:٢٢٥-٢٢٦].

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٦-٩٠].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٥].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور:٤-٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة:١٢].

وبعضها في إطار العفو:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

❖ ١١ موضعًا مسبوقة بـ (والله) البقرة: ٢١٨، آل عمران: ٣١، ١٢٩، المائدة: ٧٤، الأنفال: ٧٠، التوبة: ٢٧، ٩١، الحجرات: ٥، الحديد: ٢٨، الممتحنة: ٧، التحريم: ١

وبعضها في إطار رجاء الرحمة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة:٢١٨]. ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران:١٢٨-١٢٩].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة:٦-٧].

الأمر بالتوبة:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣-٧٤].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة:٢٥-٢٧].

❖ موضع مسبوق بـ (فإنه) الأنعام: ٥٤، وهي قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام:٥٤].

❖ موضع مسبوق بـ (إن ربي) يوسف: ٥٣ وهو قوله:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣].

❖ موضع مسبوق بـ (فإنك) إبراهيم: ٣٦.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

❖ موضع غير مسبوق بشيء: النور: ٣٣.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور:٣٣].

❖ موضع مسبوق بـ (فإني) النمل: ١١.

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١﴾ [النمل:١٠-١١].

❖ موضع مسبوق بـ (من) فصلت: ٣٢.

وبعد هذا البيان القرآني نستطيع أن نجمع أساليب ﴿غَفُورٌ﴾ مع ﴿رَحِيمٌ﴾ في أربعة أساليب:

الأول: أسلوب التوكيد، وذلك في أربع وثلاثين آية: كما في البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٩، ٢٢٦، المائدة: ٣، ٣٤، ٣٩، ٧٤، ٧٤، الأنعام: ٥٤، ١٥٤، ١٦٥، الأعراف: ١٥٣، ١٦٧.

مثال ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة:٣٣-٣٤].

حيث إنه لما ذكر حال المحاربين وجزاءهم قطع أيديهم أو تصليبهم إلى آخر الجزاء، استثنى منهم الذين تابوا قبل القدرة عليهم، فذكر الجملة الإسمية المؤكدة بأسلوب الجزاء بأنه لا تثريب عليهم، لأن الله قد غفر لهم لأنه غفور، وغفر لأنه رحيم بهم، فرحمهم وزاد أجرهم في الآخرة، ولم يذكر صفة أخرى، لأن المقام مقام التوبة والمغفرة، وهو مقام يقتضي صفتي الغفور والرحيم، وقدم الغفور، لأن الغفران سبب الرحمة.

الثاني: ما هو خال من أسلوب التوكيد، وذلك في ١٥ آية: كما في البقرة: ٢٨٤، والنساء: ٣٥، والأنفال: ٧٠، والتوبة: ٢٧.

مثاله هنا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨].

وحكمته هنا أنه لما ذكر أوصاف المؤمنين بالدوام الإيمان والهجرة والجهاد ذكر الرجاء، ورجاء الرحمة يتطلب كلمة تدل على الرحمة، لذا ذكر الجملة الإسمية المنتهية بالرحيم، تتميمًا لما سبق بأنهم إنما يرجون رحمة الله لغفرانه ورحمته على المسترحمين.

الثالث: أسلوب كان الاستمرارية مع التوكيد، وذلك في أربع آيات، كما في النساء: ٢٣، ١٠٩، ١٢٩، الأحزاب: ٢٤.

مثاله هنا: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٢٩].

وذلك أنه ﷻ لما ذكر عدم القدرة على العدل بين النساء مع الحرص على العدل نهى عن الميل لواحدة، ذكر الجملة الشرطية قبل الرحيم بقوله ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [مريم: ٢] والإصلاح والتقوى سبب القرب والمغفرة، فلذا ذكر الجزاء هنا بأن الله غفور للمصلح ولأهل التقوى، وذلك لأنه رحيم.

الرابع: أسلوب كان الاستمرارية مجردًا عن التوكيد في سبعة مواضع: النساء: ٩٦، ١٠٠، ١٥٢، الأحزاب: ٥، ٥٩، ٧٣.

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٦].

فالله ﷻ لما ذكر الأجر للمهاجرين والمجاهدين بين هنا بأن هذه الدرجات منه ﷻ، والمغفرة والرحمة يدلان على الغفور

والرحيم، فكأنه ذكره علة لما سبق فهو ﷻ إنما يغفر لهم ويرحم عليهم، لأنه غفور ورحيم، وفيه ترغيب للتوبة والإنابة.

- **مقترنة مع رؤوف:**

❖ في أربعة مواضع: التوبة ١١٧، ١٢٨، النور: ٢٠، الحشر: ١٠

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٠].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

❖ توابًا رحيمًا في موضعين بالنساء: ١٦، ٦٤ ،وهما قوله تعالى:

﴿وَٱلَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء:١٥-١٧].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

❖ في موضع من سورة الحجرات: ١٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات:١٢].

والحكمة من إنهاء الفاصلة بهذا الاسم الكريم:

أنه ﷻ أمر بالاجتناب والتنحي عن الظن، لأن الظن هو الحامل للإثم، ثم بين بأسلوب التشبيه بشاعة الغيبة، ثم ذكر قبل النهاية الأمر بالتقوى، التي تفيد اجتناب المعاصي والترغيب في الطاعات، ذكر علة ما سبق بأسلوب الجملة الإسمية، المؤكدة الدالة على الاستمرار والدوام، كأنه ﷻ يقول: إنما يأمركم بالأوامر المذكورة، وينهاكم عن المنهيات، ويأمركم بالتقوى لتقربوا إليه وتصلوا حبلكم بحبله، لأنه تواب فيتوب عليكم ويستر عليكم، إذ هو رحيم، فيرحم عليكم بمزيد الأجر.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ للتذييل، لأن التقوى تكون بالتوبة بعد التلبس بالإثم، فقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾ وتكون التقوى ابتداء، فيرحم الله المتقي، فالرحيم شامل للجميع[1].

(١) التحرير والتنوير ٢٥٧/٢٦.

المبحث الثاني
معاني الرحمة في ختام الآيات

وتأتي رحمة الله من حيث المعنى عامة، وخاصة، وسنعالج ذلك في مطلبين:

المطلب الأول
عامة

وتأتي الرحمة على معان مختلفة، فمن ذلك:

- **الرحمة بالناس عامة المؤمن والكافر:**

مثاله قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ [الإسراء:٦٦].

بعد أن ذكر الناس جميعًا بأنه هو الرب الخالق، الذي سخر لهم البحار، وجعل لهم السفن ليبتغوا من فضله، فوافق هذا الفضل التذييل بالرحمة، وجملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ تعليل وتنبيه لموقع الامتنان، ليرفضوا عبادة غيره، مما لا أثر له في هذه المنة[1].

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ١٥٩.

- **وتأتي في إطار طلب المغفرة:**

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون:١٠٩-١١١].

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون:١١٤-١١٨].

في هذه الآيات طلب المغفرة من الله، فناسب معها التذييل بالرحمة، ولما كان لا يغفر حقيقة إلا هو، ولا يرحم حقيقة إلا هو، حسن التعبير بهذا التذييل.

- **وتأتي لتعليم الخلق كيف تنال رحمة الله:**

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأنعام:١٥٥-١٥٦].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس:٤٥].

وفي هذا يذكر الناس كافة بأن رحمته ستنالهم إن هم أطاعوه، واتبعوا كتابه وخافوه، وخافوا يوم الحساب.

المطلب الثاني
خاصة

هذا النوع من ختام الآيات بالرحمة، جاء ليبين العلاقات بين المؤمنين بعضهم ببعض، وبين الأنبياء وأتباعهم، وجاء على قسمين:

القسم الأول: بين المؤمنين بعضهم ببعض:

وهم أتباع الرسول الكريم ﷺ، فأمرهم بالتواصي بالمرحمة، ثم أمرهم بالصالحات والبعد عن السيئات:

أولًا: هم متواصون بالرحمة:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧]

فقد خص من أوصاف المؤمنين التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة، لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فالصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها، لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية، وذلك من الصبر، والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية، قال الله ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، والتواصي بالمرحمة كناية عن اتصافهم بها، لأن من يوصي بالمرحمة هو الذي عرف قدرها، والتواصي بالصبر يدرب النفس حتى تصل إلى رقة القلب، فتصل إلى الرحمة(١).

ثانيًا: مأمورون بالبعد عن القبائح:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

[النور:٥٥-٥٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣٢].

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٥٥، التفسير المنير ٣٠/٢٥١.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات:٩-١٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩].

وذلك تذكيرا لهم لعمل الصالحات والبعد عن القبائح فرحمة الله قريبة من المحسنين، فجعل سبب الرحمة من الله ﷻ لهؤلاء العباد هو عمل الصالحات.

القسم الثاني: ما خص الله به أقوامًا معينين برحمته منهم:

وهو يخبر عن أنبياء الله ﷻ، فأخبر عن:

- **يوسف** عليه السلام:

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢].

فالله خير منكم ومن سواكم حافظًا، وهو أرحم الراحمين، فلذا أكل أمر حفظه إلى فضله ورحمته ﷻ، ولا أعتمد في ذلك عليكم، فقد جربتكم فما وجدت فيكم وفاءً بوعد، ولا حفظًا لعهد، فالله ﷻ يرحم عباده رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم، فيجازي محسنهم، ويغفر لمسيئهم، لأن رحمة الراحمين أيضًا برحمته[1].

(١) حدائق الروح والريحان ٩٩/١٤.

ثم لما عفا عنهم ذكر الصفة نفسها ليدلل على أنه وحده أرحم الراحمين بعباده كلهم، ولا سيما التائب، فهو جدير بإدرار النعم بعد الإعاذة من النقم[1].

- **وعن أيوب عليه السلام:**

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ التعريض بطلب كشف الضر عنه دون سؤال، فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضًا بسؤاله، وكون الله ﷻ أرحم الراحمين، لأن رحمته أكمل الرحمات، لأن كل من رحم غيره، فإما أن يرحمه طلبا للثناء في الدنيا، أو للثواب في الآخرة، أو دفعًا للرقة العارضة للنفس من مشاهدة من تحق الرحمة له، فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وأما رحمته ﷻ عباده فهي خلية عن استجلاب فائدة لذاته العلية[2].

- **وعن موسى عليه السلام:**

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١].

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ جواب عن كلام هارون، فلذلك فصلت، وابتدأ موسى دعاءه، فطلب المغفرة لنفسه تأدبا مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه، فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك، وذكر وصف الإخوة هناك زيادة في الاستعطاف، عسى الله أن يكرم رسوله بالمغفرة لأخيه، والإدخال في

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ٢١١.
(٢) التحرير والتنوير ١٧/ ١٢٧، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢/ ٤٦٢.

الرحمة استعارة لشمول الرحمة لهما في سائر أحوالهما، بحيث يكونان منها، كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي، فالإدخال استعارة أصلية، وحرف (في) استعارة تبعية، أوقع حرفه الظرفية موقع باء الملابسة.

وجملة: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ تذييل، والواو للحال أو اعتراضية، وأرحم الراحمين الأشد رحمة من كل راحم، فذكرها هنا ختام رائع مناسب للآيات[1].

- **وعن نوح عليه السلام:**

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف:٦٢-٦٣].

- **وعن صالح عليه السلام:**

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل:٤٥-٤٦].

وهؤلاء الأقوام ذكرهم الله بالرحمة تنبيها لهم، ليعلموا أن رحمة الله قريب من المحسنين، فيبادروا بالتوبة وعدم المعاندة[2].

وفائدة الترجي هنا: التنبيه على عزة المطلوب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله ﷻ، وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه، ولا يأمن عذاب الله ﷻ[3].

(١) التحرير والتنوير ٩/ ١١٨.
(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٨٢/٩،
(٣) تفسير حدائق الروح والريحان ٣٨٦/٩.

الخاتمة

بها نتائج البحث:

أولًا: الرحمة، كلمة ربانية، تجذب القلوب والعقول، اهتم بها الإسلام، وقررها الكتاب الكريم في عدة مواضع، بلغت نحو ٢٦٨ موضعًا.

ثانيًا: جاءت الرحمة بصور مختلفة تدلل على أهمية هذه الصفة، وأن الدين قائم عليها.

ثالثًا: التعريف بأسماء الله وصفاته، وأنه ﷻ الرحيم الرحمن، الذي وسعت رحمته كل شيء.

رابعًا: الدراسات القرآنية تهتم بالأسماء والصفات، ولكنها دراسات منفردة، قائمة على الجهد الفردي، من أجل ذلك اقترح عمل جماعي يقوم بعمل موسوعة ضخمه للأسماء والصفات، التي ذكرت في القرآن، مع التركيز على خواتيم الآيات القرآنية وبيان معناها.

خامسًا: اقترح مجموعة من الرسائل العلمية المركزة عنوانها خواتيم الآيات القرآنية دراسة وبيان، ويأخذ كل طالب مجموعة من

الآيات أو السور، وتدرس من الناحية اللغوية والبيانية، وغيرها من النواحي التفسيرية، بحيث تخرج موسوعة متفردة في موضوعها.

فهرس المصادر والمراجع:

١. الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها من أول سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون، محمد مصطفى أيدن، رسالة ماجستير.
٢. إعجاز القرآن، عبدالكريم الخطيب.
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ت: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث.
٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل، دار التراث.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٣ ١٩٩٦.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير، ت: سامي سلامة، دار طيبة للنشر.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر.
٩. حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري، دار طوق النجاة.
١٠. الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار.
١١. الفاصلة في القرآن، د/حسين نصار، نهضة مصر.
١٢. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير.
١٣. الفوائد المشوق، ابن قيم الجوزية، دار التراث.

١٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بيروت.